﴿وَعِدْهُمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا. . .﴾:

خطوة رابعة من خطوات الشيطان الوعد الكَذِب الغُرور، فإنه كاذب غَرور.

﴿وَعِدْهُمْۚ﴾ هنا يعم الوعد الخير والوعيد الشر، وعداً يمنّيهم ترغيباً إلى الشهوات: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾[1] ووعيداً ترهيباً عن المكرمات: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ. . .﴾[2].

ثم ولا يخص وعدُه ترغيباً وترهيباً يوم الدنيا، بل وكذلك الأخرى، وعداً يشككهم في الآخرة، وآخر يرجيّهم رحمة الله فيها أم يغلِّب رجاءَهم على خوفهم، وثالثا بمغفرة في شفاعة أماهيه، وقد تعنيهما فيما تعنيه ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾[3] حيث الآخرة هي ﴿مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ إذ يستقبلونها متجهين إليها، والدنيا هي «من خلفهم» إذ يستدبرونها مولّين عنها.

= علي فمن أحبه علمنا أنه من أولادنا ومن أبغضه أشفينا منه.
وبإسناد متصل آخر من حبة العرفي، قال سمعت علي بن أبي طالب يقول: دخلت على رسول الله ﷺ في وقت كنت لا أدخل عليه فيه فوجدت رجلاً جالساً عنده مشوه الخلقة لم أعرفه قبل ذلك فلما رآني خرج الرجل مبادراً قلت يا رسول الله ﷺ: من ذا الذي لم أره قبل ذي؟ قال: هذا إبليس الأبالسة سألت ربي أن يرينيه وما رآه أحد قط في هذه الخلقة غيري وغيرك قال عليه السلام فعدوت في أثره فرأيته عند أحجار الزيت، فأخذت بمجامعه وضربت به البلاط وقعدت على صدره فقال: ما تشاء يا علي؟ قلت: أقتلك قال: إنك لن تسلط علي قلت: لِمَ؟ قال: لأن ربك أنظرني إلى يوم الدين خل عني يا علي فإن لك عندي وسيلة لك ولأولادك قلت: وما هي؟ قال: لا يبغضك ولا يبغض ولدك أحد إلا شاركته في رحم أمه ليس الله يقول: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسرَاء: ٦٤]؟ وبإسناد متصل عن جعفر بن محمد في حديث عبد الرحمن بن كثير قلت جعلت فداك بأيش تعرف ذلك (يعني شرك الشيطان؟) قال: بحبنا وبغضنا. . .
قال الحسكاني: والرواية في هذا الباب كثيرة وهي في كتاب طيب الفطرة في حب العترة مشروحة.

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٧.

ووعد الشيطان أياً كان ليس إلّا غروراً فإنه غَرور ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ . . .﴾[١].

خطوات أربع كُبريات تحمل كافة الشيطنات، وهي هي مجالات واسعة النطاق للسلطات الشيطانية، لا ينجو منها إلّا عباد الله الخصُوص، وأما عباد الشيطان فلا عنت له في تمشيتهم فيها، والعباد المشركون المشتركون يُمشِّيهم كما يتمشون فيأخذ نصيبه منهم كما يُحتنكون، ثم يتخلص العباد المخلصون بالله والمخلِصون لله:

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾:

ولولا الوكالة الربانية لـ ﴿عِبَادِى﴾ المخلَصين المختصين بالله لم يتخلصوا عن خطوات الشيطان، فلا كفاية للإنسان أياً كان إلّا بهذه الوكالة.

فـ ﴿عِبَادِى﴾ تلمح بذلك الاختصاص، أنهم هم الذين وقفوا أنفسهم في الله لعبادة الله، وطاوعوا في ذوات نفوسهم لطاعة الله، واستعاذوا في كل ذلك بالله، بعدما قدموا طاقاتهم كلها لسلوك سبيل الله، فمنهم من اصطفاهم الله برسالاته فعصمهم عن الأخطاء كلها، تلقياً من الله وإلقاءً وتطبيقاً.

فهم معصومون في هذا المثلث البارع. . . ومنهم من أيدهم وسدّدهم دون تلكم العصمة البارعة فخلصهم من سلطان الشيطان دون العصمة العلمية، وقد يعنيهما ﴿عِبَادِى﴾ هنا مهما اختص المعصومون في مجالات أخرى: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[٢] كدرجة أولى ورتبة أعلى من ﴿عِبَادِى﴾، ومن ثم درجة ثانية ليسوا من الغاوين مهما لم يكونوا من المخلصين: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ فعباد الله الخالصون لله مخلصين كانوا أم مخلصين ليسوا من

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٣، وسورة فاطر، الآية: ٥.
(٢) سورة الحجر، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

الغاوين، فلا سلطان عليهم من شيطان[١]، ولا على غيرهم إلّا دعوة ودعاية متحللة عن البرهان: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي...﴾[٢]. فلأن دعوته توافق الشهوة لا يُطلب منه عليها دليلٌ.

(١) نور الثقلين ٣: ١٨٥ ح ٣٠٢ في تفسير العياشي عن جعفر بن محمد الخزاعي عن أبيه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يذكر في حديث غير خم أنه لما قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام ما قال وأقامه للناس صرخ إبليس صرخة فاجتمعت له العفاريت فقالوا: سيدنا ما هذه الصرخه؟ فقال: ويلكم يومكم كيوم عيسى والله لأضلن فيه الخلق، قال: فنزل القرآن: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبإ: ٢٠] فقال: فصرخ إبليس صرخة فرجعت إليه العفاريت فقالوا: يا سيدنا ما هذه الصرخة الأخرى؟ فقال: ويحكم حكى الله والله كلامي قرآناً وأنزل عليه ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ...﴾ ثم رفع رأسه إلى السماء ثم قال: وعزتك وجلالك لألحقن الفريق بالجميع، قال فقال النبي صلى الله عليه وآله بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] قال: فصرخ إبليس صرخة فرجعت إليه العفاريت فقالوا: يا سيدنا ما هذه الصرخة الثالثة؟ قال: والله من أصحاب علي ولكن وعزتك وجلالك لأزينن لهم المعاصي حتى أبغضهم إليك قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: والذي بعث بالحق محمداً للعفاريت والأبالسة على المؤمن أكثر من الزنابير على اللحم والمؤمن أشد من الجبل والجبل تدنو إليه بالفأس فتنحت منه والمؤمن لا يستقل عنه دينه.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ
كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ
إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن
يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا
مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾
وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ
وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ
بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا
يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ
وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ
لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ
كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ
وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟
لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا
تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾

﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾﴾:

الرب الوكيل الكافي هو ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ﴾ والإزجاء هو الدفع للانسياق، فـ ﴿رَبُّكُمُ﴾ يدفع الفلك لصالح الناس ابتغاء فضله، دفعاً بالرياح قوات أخرى بترولية أماهيه لـ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ قبل خلقكم ﴿بِكُمْ رَحِيمًا﴾ وإزجاء الفلك هو من مظاهر الرحمة الرحيمية الربانية.

أنتم تنساقون على الفلك بتنسيق الرب، فكونوا في الحياة كلِّها على النسق الذي يسوقكم الرب، ولا تدعوا من دونه أرباباً، لكنكم تُوحدونه عند الضر وتشركون به حين النجاة.!

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾:

هنالك إزجاءٌ رخي بغية الرحمة، وهنا اضطراب عتي، مشهدٌ لطيف عطيف يجمع بين الرخاء الرجاء، ومكابدة العناء، حيث تحس القلوب الواجفة المتعلقة بكل رجفة وهزة كالريشة الصغيرة الهزيلة في مهب الرياح القاصفة على ثبج البحار والموج الجبار! ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ﴾ في خِضمِّ هذه الرحمة المُزجية ﴿ضَلَّ﴾ عن قلوبكم ونفوسكم وتعلقاتكم ﴿مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ حيث القلوب حالة الرخاء متعلقة بالله وسواه، تحسب أن لمن سوى الله دخلاً في نجاة ونجاح، فإذا وقع في واقع منقطع عمن سوى الله كالبحر الملتطم، ينسى الركْب في الفلك المتناوح بين الأمواج كل قوة وسناد إلّا الله، إذ لا يرى إلّا الأمواج، وحينذاك تظهر بارقة الفطرة المتعلقة في عمقها بالله، ويبرز رجاءٌ واحد ليس إلّا بالله، رغم خفائه عن الأبصار، وجلاء سواه للأبصار، فهنا تتفتح البصيرة المغشية وتغمض الأبصار، ويظهر الرب للبصائر كالشمس في رايعة النهار!.

﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ . . .﴾ فحين تنجلي الغمرة ينمحي نور الفطرة حيث الإنسان هو الإنسان كأنّ كيانه النسيان، يضل هنا عنه الله، كما ضل عنه قبله من سواه، حيث تتقاذفه الأهواء، وتتجاذبه إلى غير الله فيعرض عن الله.

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ كأنه يضرب إلى عمق الماضي في عمق الذات، رغم أن الذات الفطرة متجهة إلى الله، ولكنما اللّذات والشهوات تحول دون المُقام في مَقام الذات!..

وهكذا يكون الإنسان النسيان، يذكر ربه وحده حين البأساء والضراء، وينساه حين النعماء، فليذكر أنه هو ربه لا سواه، حين يضل من يدعوه إلّا إياه.

هذا البحر الملتطم نجوتم من ضره إلى بره ثم أعرضتم، فهل أنتم آمنون من ضر البرّ؟!

﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾﴾:

فأين الأمن ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾[1] وكما في قارون: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[2].

ليس هول الغرق منحصراً في البحر منحسراً عن جانب البر، فأنتم الآن نجوتم عن البحر إلى البر فماذا يأمنكم ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ فلماذا أعرضتم عن الله وأنتم بعدُ عُرضة الخسف وهو أشد وأنكى؟...

أنتم في قبضة الله في البحر والبرِّ، ولا أمن عن غرق في البحر أم خسف بزلزال وبركان في البرِّ ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحاً مهلكة

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.
(٢) سورة القصص، الآية: ٨١.

ترمي بالحصباء والحصا، عاصفة بركانية أم ماذا؟ تقذفكم بالحمم والماء والطين والأحجار! فأنتم الهزالى الأذلَّاء في مثلث الغرق بحراً وبراً أم جواً ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ ينجيكم من غرقكم.

هب أنكم أمنتم البرَّ حالاً كما أمنتم البحر ترحالاً فماذا يأمنكم أن يعيدكم إلى ضر البحر؟.

﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾:

وهب أنه أمهلكم في البحر فما أغرقكم، ثم أمهلكم في البر فما خسف بكم ولا أرسل عليكم حاصباً، فكيف تأمنون أن يعيدكم في البحر مرة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح تقصف الصواري وتُحَطِّم السفن، ثم لا تجدوا لكم علينا بقاصف البحر تبيعاً يلاحق في نجاتكم؟

أيتها الحشرة الهزيلة الذليلة، العائشة بين أخطار الغرق والخسف والحاصب والقاصف، بحراً وبراً وجواً، لماذا هذه الغفلة الحمقاء، هذا الكفران المتواصل في النكران والعصيان، وهنا لك القدرة الإلهية تتصدى لك ثم لا تجد عليه وكيلاً ولا تبيعاً؟!

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾:

آية عديمة النظير في صيغة التعبير، إذ تحمل بعدين بعيدين للمحتد الإنساني ومنزلته على «من خلق» ككل: ﴿كَرَّمْنَا... وَفَضَّلْنَاهُمْ...﴾!.

كرامة مطلقة بين «من خلق» في تأكيدات ثلاثة: «لـ» «قد» - ﴿كَرَّمْنَا﴾: فالتكريم يفوق الإكرام عِدةً وعُدةً، ثم «ولقد» يؤكده مرتين، بينها الملائكة

المعصومون ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[١] خلوا عن هذه الثلاثة، ومن ثم «نا» في كرمنا هذه حيث تعني جمعية الصفات.

وفي سائر القرآن تصريحات وتلميحات بهذه الكرامة العليا للإنسان، فإنه في التين ﴿فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾ وفي الأنبياء ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾[٢] وفي آيات عدة مسجود الملائكة أجمعين، ثم لا نجد للملائكة ولا تلميحة على هذه الكرامة المطلقة! أليس لأنه في أعلى قمم القوامة وأحسنها بكلِّه وجزئيه، وأن خلقه في سائر الخلق استوجب توصيف الخالق بـ ﴿أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ وكما هو أحسن من سائر الخالقين في خلقه أجمعين.

ولو لم يكن مفضلاً على الملائكة أجمعين لما أمروا أن يسجدوا له أجمعين، وقد أمروا! ولأن في صلبه أهل بيت الرسالة المحمدية ﷺ ومن حذا حذوهم من المؤمنين[٣].

ذلك التكريم الرباني لبني آدم كما يشمل جزئيهم قلباً وقالباً في أصل الخلق، كذلك في كرامة التقوى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[٤] فلو لم يكن فيهم الأتقى لم يكن ذلك التكريم:

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٣) نور الثقلين ٣: ١٨٨ ح ٣١٧ علل الشرائع عن الإمام علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن النبي ﷺ حديث طويل يقول فيه: «فإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا. يا علي! الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا. يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوا ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتقديسه إن الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود تعظيماً لنا وإكراماً وكان سجودهم من الله عزوجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون؟».

(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

«والملائكة خدام المؤمنين»[١] ثم ويشمل النشأتين الدنيا والآخرة، تكريماً في مثلث قاعدته التقوى، وهي تتبنّى تكريمه تكويناً، وتُنتِج تكريمه في ميزان الله دنياً وعقبىً!.

وأهمُّ المظاهر في هذا التكريم نراه في «حملناهم - رزقناهم - فضلناهم» وإن كان الأخير يحمل حملهم ورزقهم أم ماذا؟.

﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ حملاً فيهما مع بعض على سفينتنا الفضائية في خِضمِّ البحر: الفضاء المحيط: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ۝٢٥ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ۝٢٦﴾[٢]!

وحملاً في البحر لبني آدم كلهم في الفلك المشحون: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾[٣] حملناهم وهم ذرية في تلكم الأصلاب: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾[٤].

وحملاً فيه لركاب البحر على مرّ الزمن على السفن فوق البحرية وتحت البحرية، وحملاً في البر بمختلف الحمولة الحيوانية وسواها ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥] فهم في رباعية الحمل براً وبحراً أم ماذا؟.

---

(١) المصدر ١٨٩ ح ٣٢٠ في أصول الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما خلق الله عزوجل خلقاً أكرم على الله عزوجل من مؤمن لأن الملائكة خدام المؤمنين وان جوار الله للمؤمنين وأن الجنة للمؤمنين وأن الحور العين للمؤمنين...» في الاحتجاج عن النبي صلى الله عليه وآله يا رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرنا عن علي هو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل شرفت الملائكة إلا بحبها لمحمد وعلي وقبول ولايتهما؟ إنه لا أحد من محبي علي عليه السلام نظف قلبه من الغش والدغل والعلل ونجاسة الذنوب إلا كان أطهر وأفضل من الملائكة.

(٢) سورة المرسلات، الآيتان: ٢٥، ٢٦.

(٣) سورة يس، الآية: ٤١.

(٤) سورة الحاقة، الآية: ١١.

(٥) سورة النحل، الآية: ٨.

﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ ما تستطيبه النفس السليمة الإنسانية مأكلاً ومشرباً ومسكناً ومنكحاً أمّاذا من متطلبات الحياة، أو أنها ككلٍّ حياة طيبة في كافة جنباتها: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[١] ومن أفضلها طيبة النفس، وطيبة الذرية: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[٢] وأن يصبح الإنسان كلمة طيبة ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[٣]: فمن أفضل الرزق الطيب العلم[٤] وقد فضل فيه الإنسان على الملائكة كما في آدم، فرزق الإنسان كحيوان مفضل على سائر الحيوان، ورزقه كإنسان مفضل على مَن في عالم الإمكان، اللّهم إلّا من يوازيه من القلة في هذه الكرامة.

﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾:

هنا تفضيل لبني آدم على كثير، فهناك قليل لم يفضَّلوا عليهم، فمن هم، وهل هم أمثالهم في الفضل أم هم مفضَّلون عليهم؟...

آية التين حيث تجعل خلق الإنسان في أحسن تقوم، وهي تصريحة قيِّمة أنه لا أحسن منه، ولولا آية التفضيل لكان الإنسان في قمة لا توازى، ولكنها تستثني قليلاً، فهم كالإنسان في أحسن تقويم، ولا نعرفهم حتى الآن من هم.

ويكفي أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأن في ذريته آل بيت الرسالة المحمدية، أنهم ككلٍّ أفضل من الملائكة.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٨.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٤.
(٤) نور الثقلين ٣: ١٧٨ ح ٣٠٧ تفسير القمي عن أبي جعفر عليه السلام إن الله لا يكرم روح الكافر ولكن كرم أرواح المؤمنين وإنما كرامة النفس والدم بالروح والرزق الطيب هو العلم.